احدها ان ذلك كان خاصًا بقوم يونس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون لعنه الله
ما آمن الا بعد ما باشره العذاب وهو وقت الياس والياس من الحياة وقوم يونس عليه السلام
دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب
الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون لانه ما صدق
في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه والله اعلم قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض
جميعا يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في
الارض كلهم جميعا ولكن لا يشاء ان يصدقك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل
انه لا يؤمن به الا من سبق له من الله سعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق من الله الشقاء
في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبره الله انه لا يؤمن
به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم والآية دليل على القدرية فانه تعالى
لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة واول القدرية المشية بمشية الالجاء والقسر
واجيب بان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه الرسول صلى الله عليه وسلم منهم وهو الايمان المنوط به
التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف وفي المدارك وقول المعتزلة المراد بالمشية مشية
القسر والالجاء اي لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله
افانت تكره الناس بما لم يشأه الله منهم حتى يكونوا مؤمنين اي ليس اليك مشية الاكراه
والجبر في الايمان انما ذلك الي فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله لا يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك
الا اختيارا وتأويله عندنا ان الله تعالى لطفا لو اعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم انهم لا يؤمنون
فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في افانت بمعنى النفي اي لا يمكنك انت يا محمد ان تكرههم على الايمان
لا يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق لخفيته ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه اي
عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشية الله وقضائه وقدره ليس لاحد ذلك سواه وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله يعني وما كان ينبغي وما صح ولا امكن لنفس خلقها الله تعالى ان تؤمن وتصدق
الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله هو الهادي المضل وقال ابن عباس حتى باذن الله بامر الله
وقال عطاء بمشية الله قال البيضاوي معناه بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهدن نفسك في هداها
فانه الى الله ويجعل الرجس اي العذاب او الخذلان لانه سببه وقرئ بالزاي دون السين وقرأ ابو بكر
ونجعل بالنون على سبيل العظمة اي ونحن نجعل وقرئ بالياء ومعناه ويجعل الله وقال ابن عباس الرجس السخط
على الذين لا يعقلون اي لا يفهمون عن الله امره ونهيه لا يتدبرون آيات الله وفي الغاية ناظر الى
قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون لانهم لا يستعملون عقولهم بالنظر في الكائنات والآيات
ليؤديهم الى العلم بوحدة موجدها ولذلك قال قل لكفار مكة انظروا اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين
الذين يسألونك الآيات انظروا وتفكروا بقلوبكم نظر اعتبار وتدبر قرأ عاصم وحمزة بكسر اللام لالتقاء
الساكنين والباقون بضمها نقلوا حركة الهمزة الى اللام ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع

خلق الله

خلق الله في السموات والارض من عجايب الصنع والعبر وبدايع الآيات الدالة على وحدانيته ففي السماء
الشمس والقمر وهاديان ليلا على الليل والنهار والنجوم تسخيرها طالعة وغاربة وانزال المطر من السماء
وفي الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آيات دالات على وحدانيته
عز وجل وانه خالقها ومبدعها كما قال الشاعر ❁ وفي كل شيء له آية ❁ تدل على انه واحد ❁ وجعل
ماذا بالتركيب اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدا خبره الظرف ويجوز ان
يكون ما الاستفهامية مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر المبتدا وعلى التقديرين لا تكون
الجملة الاسمية مفعول انظروا لكونه معلقا عنها بالاستفهام ثم ذكر ان التفكر والتدبر في الدلايل
الآفاقية والانفسية لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الازل بالشقاء فقال عز من قائل وما تغني
الآيات والنذر ما نافية وقيل استفهامية اي وما يفيد ولا تنفع هذه الآيات والحجج والنذر اعني الرسل
جمع نذير صفة بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار عن قوم لا يؤمنون اي عند قوم لا يصدقون
بالله وآياته ورسله وهذا في حق اقوام علم الله انهم لا يؤمنون بما سبق لهم في الازل من الشقاء و
اختيارهم الكفر والمعنى على الاستفهام اي اي شيء تنفع الآيات والنذر عند قوم يموتون
على الكفر لاختيارهم ذلك في علم الله وحكمه واخرج ابو الشيخ عن السدي وما تغني الآيات والنذر عن
قوم يقول عند قوم لا يؤمنون نسخت قوله حكمة بالغة فما تغن النذر ثم هدد كفار مكة بقوله فهل
ينتظرون يعني ما يترقبون مشركي مكة بتكذيبك وعدم الايمان بك الا مثل ايام الذين خلوا
اي مضوا من قبلهم يعني من مضى قبل كفار مكة من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة اراد
بايام الذين خلوا وقايع الله في قوم نوح وعاد وثمود يقال ايام العرب لحروبها والعرب تسمي العذاب
اياما والنعم ايضا اياما كقوله وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد
الا يوما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلت بالامم الماضية المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون
ذلك العذاب قل فانتظروا اي قل لهم يا محمد فارتقبوا العذاب والهلاك اني معكم من
المنتظرين لذلك العذاب او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم قال الربيع بن انس خوفهم
عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله رسله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب
وهو قوله عز وجل ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام
الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم من الهلاك والعذاب على حكاية
الحال الماضية قوله ننجي بالتشديد وقرئ بالتخفيف كذلك حقا علينا ننج المؤمنين
اي كما انجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك
من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسل والمؤمنين
من العذاب واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب بحيث الوعد والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق
لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا قوله حقا اعتراض بين العامل والمعمول ونصبه بفعله
المقدر اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف
متعلقه بقوله تعالى ننجي المؤمنين وقرأ حفص والكسائي ننجي باسكان النون وتخفيف الجيم والباقون بالتشديد

Copyright © King Saud University